المبحث الثاني عشر: الحكمة

أولاً: تعريف الحكمة لغة وشرعاً:

تعريف الحكمة في اللغة:

جاءت كلمة **الحكمة** في اللغة بعدة معان، منها:

١- تستعمل بمعنى: **العدل، والعلم**، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل.

وأحكم الأمر: أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد[١].

٢- **والحكمة** عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويُقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويُتقنها: حكيم[٢].

٣- **والحكيم**:المتقن للأمور،يقال للرجل إذا كان حكيماً:قد أحكمته التجارب[٣].

٤- **والحَكَمُ والحكيم** هما بمعنى:الحاكم،والقاضي، والحكيم فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يُحكِمُ الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى: مفعل[٤].

---

(١) القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المتوفى سنة ٨١٧هـ، باب الميم، فصل الحاء، ص١٤١٥، وانظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء، ١٤٣/١٢، ومختار الصحاح، مادة: حكم، ص٦٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الحاء مع الكاف، مادة حكم، ١١٩/١، وانظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء، ١٤٠/١٢، والمعجم الوسيط، مادة: حكم، ١٩٠/١.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء، ١٤٣/١٢، ومختار الصحاح، مادة: حكم، ص ٦٢.

(٤) انظر:النهاية في غريب الحديث والأثر،لابن الأثير،باب الحاء مع الكاف،مادة:حكم، ٤١٩/١.

٥- **والحكمة**: إصابة الحق بالعلم والعقل[١].

٦- **والحكيم**: المانع من الفساد، ومنه سُمِّيت حَكَمة اللجام؛ لأنها تمنع الفرَس من الجري والذهاب في غير قصد، والسورة المحكمة، الممنوعة من التغيير وكل التبديل، وأن يلحق بها ما يخرج عنها، ويزدد عليها ما ليس منها.

والحكمة من هذا؛ لأنها تمنع صاحبها من الجهل، ويقال: أحكم الشيء، إذا أتقنه ومنعه من الخروج عما يريد، فهو محكم وحكيم على التكثير[٢].

٧- **والحَكَمَةُ**: ما أحاط بحنكي الفرَس، سُمِّيت بذلك؛ لأنها تمنعه من الجري الشديد، وتذلل الدابة لراكبها، حتى تمنعها من الجماح، ومن كثير من الجهل، ومنه اشتقاق الحكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل[٣].

٨- **والحُكْمُ**: هو المنع من الظلم، وسمّيت حكمة الدابة، لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حكمت فلاناً تحكيماً: منعته عما يريد[٤].

ومما تقدّم يتّضح ويتبيّن أن الحكمة يظهر فيها معنى المنع، فقد استعملت في عدة معانٍ تتضمن معنى المنع:

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، كتاب الحاء، مادة: حكم، ص١٢٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٨٨/١ بتصرف يسير.

(٣) انظر: المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، المتوفى سنة ٧٧٠هـ، مادة: الحكم، ١٤٥/١، وتاج العروس، ٢٥٣/٨.

(٤) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، ٩١/٢، باب الحاء والكاف، مادة: حكم.

فالعدل: يمنع صاحبه من الوقوع في الظلم.

والحِلْمُ: يمنع صاحبه من الوقوع في الغضب.

والعلم: يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل.

والنُّبُوّة، والقرآن، والإنجيل: فالنبي ﷺ إنما بُعِثَ لمنع من بعث إليهم من عبادة غير الله، ومن الوقوع في المعاصي والآثام، والقرآن والإنجيل وجميع الكتب السماوية أنزلها الله تتضمن ما يمنع الناس من الوقوع في الشرك وكل منكر وقبيح.

ومن فسّر الحكمة بالمعرفة فهو مبني على أن **المعرفة الصحيحة** فيها معنى المنع، والتحديد، والفصل بين الأشياء، وكذلك الإتقان، فيه منع للشيء المتقن من تطرق الخلل والفساد إليه، وفي هذا المعنى قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «الإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل إتقانه؛ ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد بالمنع جزء معناه لا جميع معناه»[1].

تعريف الحكمة في الاصطلاح الشرعي

ذكر العلماء مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية، واختلفوا على أقوال كثيرة، فقيل: الحكمة: النبوة، وقيل: القرآن والفقه به: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدّمه ومؤخّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وقيل: الإصابة في القول والفعل، وقيل: معرفة الحق والعمل به، وقيل: العلم النافع، والعمل الصالح، وقيل: الخشية لله، وقيل: السنة، وقيل: الورع في دين الله، وقيل: العلم

(١) مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية، ٢/٧.

والعمل به، ولا يُسمَّى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما، وقيل: **وضع كل شيء في موضعه** [بإحكامٍ، وإتقانٍ]، وقيل: **سرعة الجواب مع الإصابة**[1].

فجميع الأقوال تدخل في هذا التعريف؛ لأن الحكمة مأخوذة من الحكم وفصلِ القضاء الذي هو بمعنى الفصل بين الحق والباطل، يقال: إن فلاناً لحكيم بيِّن الحكمة، يعني: أنه لبيّن الإصابة في القول والفعل، فجميع التعاريف داخلة في هذا القول؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها، وعلم، ومعرفة، والمصيب عن فهم منه بمواضع الصواب يكون في جميع أموره: فهماً، خاشياً لله، فقيهاً، عالماً، عاملاً بعلمه، ورعاً في دينه... والحكمة أعمّ من النبوة، والنبوة بعض معانيها وأعلى أقسامها؛ لأن الأنبياء **عليهم الصلاة والسلام** مُسدَّدون، مُفهَّمون، ومُوفَّقون لإصابة الصواب في الأقوال، والأفعال، والاعتقادات، وفي جميع الأمور[2].

والحكمة في كتاب الله نوعان[3]: مفردة، ومقرونة بالكتاب.

فالمفردة كقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿**يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[5]. وقوله سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**

(١) انظر: التعريف بالتفصيل في الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى للمؤلف، ص٢٦-٣١.
(٢) انظر: تفسير الطبري، ١/٤٣٦، ٣/٦١.
(٣) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/٤٧٨، والتفسير القيم لابن القيم، ص٢٢٧.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1].

وهذه الحكمة فُسِّرت بما تقدم من أقوال العلماء في تعريف الحكمة وهذا النوع كثير في كتاب الله تعالى.

وقد ذكر بعضهم تسعة وعشرين قولاً في تعريف الحكمة[2].

«وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه ﷺ حكمة، وكل ما ذكر من التفصيل فهو حكمة، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السَّفَه، فقيل للعلم حكمة؛ لأنه يمتنع به من السفه، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كلُّ فعلٍ قبيح...»[3].

وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضمّ جميع هذا الأقوال في تعريف الحكمة هو: «**الإصابة في الأقوال والأفعال، والإرادات، والاعتقاد، ووضع كل شيء في موضعه**».

أما الحكمة المقرونة بالكتاب،فهي السنة من:**أقوال النبي ﷺ وأفعاله**، وتقريراته،وسيرته،كقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾[4].

وقوله ﷻ: ﴿**وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ**

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان، ٣٢٠/٢.

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم، ٣٣/٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

قال الله ﷻ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[3]، وغير ذلك من الآيات.

وممن فسر الحكمة المقرونة بالكتاب بالسنة: الإمام الشافعي، والإمام ابن القيم، وغيرهما من الأئمة[4].

ثانياً: أهمية الحكمة:

١- قد بيّن القرآن الكريم طرق الدعوة إلى الله تعالى، ويأتي في مقدمة هذه الطرق: الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ، وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى **بالحكمة**، فقال: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[5].

٢- من تتبّع سيرة النبي ﷺ وجد أنه كان يلازم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى الله ﷻ، فأقبل الناس ودخلوا في دين

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.
(٣) سورة الجمعة، الآية: ٢.
(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، ٤٧٨/٢، والتفسير القيم، ص٢٢٧.
(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

الله أفواجاً بفضل الله تعالى، ثم بفضل هذا النبي الحكيم ﷺ الذي ملأ الله قلبه بالإيمان والحكمة، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يُحدّث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**فُرِجَ سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل فَفرجَ صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست** [1] **من ذهب ممتلئٍ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي**..» الحديث[2].

وهذا يُثبِتُ أن الحكمة من أعظم الأمور الأساسية في منهج الدعوة إلى الله تعالى، حيث امتلأ بها صدر رسول الله ﷺ وهو صاحب الدعوة، مع الإيمان، وهو قضية الدعوة في لحظة واحدة، كما يؤكّد قيمة وأهمية الحكمة من خلال مجيئها يحملها جبريل وهو روح القدس، في طست من ذهب، وهو أغلى المعادن، في مكة المكرمة، وهي البقعة المباركة؛ ليمتلئ بها صدر محمد رسول الله ﷺ وهو خير الخلق، بعد غسله بماء زمزم وهو أطهر الماء وأفضله.

كل هذا يؤكد أن **الحكمة** في الدعوة إلى الله تعالى أمرها عظيم، وشأنها كبير، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[3].

---

(١) إناء كبير مستدير. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١/٤٦٠، والمعجم الوسيط، مادة: (الطّسْت)، ٢/٥٥٧.

(٢) البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، برقم ٣١٦٤، ومسلم، واللفظ له، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، برقم ١٦٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

ثم سار أصحاب رسول الله ﷺ على طريقه وهديه في الدعوة إلى الله بالحكمة، فانتشر الإسلام في عهدهم ﷺ انتشاراً عظيماً، ودخل في الإسلام خلق لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وجاء التابعون، وكمّلوا السير على هذا الطريق في الدعوة إلى الله بالحكمة، وهكذا سارت القرون الثلاثة المفضلة ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان، فأظهر الله الإسلام وأهله، وأذَلَّ الشرك وأهله وأعوانه.

٣- ومن الناس من يظن أو يعتقد أن **الحكمة** تقتصر على الكلام اللين، والرفق، والعفو، والحلم.. فحسب، وهذا نقص وقصور ظاهر لمفهوم **الحكمة**؛ فإن الحكمة قد تكون:

- باستخدام الرفق واللين، والحلم والعفو، مع بيان الحق علماً وعملاً واعتقاداً بالأدلة، **وهذه المرتبة تستخدم** لجميع الأذكياء من البشر الذين يقبلون الحق ولا يعاندون.
- وتارة تكون **الحكمة** باستخدام الموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل، **وهذه المرتبة تستخدم مع القابل للحق** المعترف به، ولكن عنده غفلة وشهوات، وأهواء تصدّه عن اتّباع الحق.
- وتارة تكون **الحكمة** باستخدام الجدال بالتي هي أحسن، بِحُسنِ خُلُقٍ، ولُطفٍ، ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية، وردّ الباطل بأقرب طريق، وأنسب عبارة، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرّد المجادلة والمغالبة وحبّ العلوّ، بل لابدّ أن يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، **وهذه المرتبة تستخدم لكل معاند** جاحد.

• وتارة تكون **الحكمة** باستخدام القوة: بالكلام القوي، وبالضرب والتأديب وإقامة الحدود لمن كان له قوة وسلطة مشروعة، وبالجهاد في سبيل الله تعالى بالسيف والسنان تحت لواء ولي أمر المسلمين، مع مراعاة الضوابط والشروط التي دلَّ عليها الكتاب والسنة، **وهذه المرتبة تستخدم** لكل معاند جاحد ظلم وطغى، ولم يرجع للحق بل ردّه ووقف في طريقه[1].

وما أحسن ما قاله الشاعر:

دعا المصطفى دهراً بمكةَ لم يُجب وقد لان منـــه جانـــبٌ وخطـــابُ

فلما دعا والسيفُ صـــلتٌ بكفِّـــهِ له أسلموا واستسلموا وأنابوا[2]

وصدق هذا القائل فقد قال: قولاً صادقاً مطابقاً للحق[3]؛ ولهذا قال النبي ﷺ: ((**إن من الشِّعرِ حكمة**))[4].

٤- **الحكمة** تجعل الداعي إلى الله يُقدِّر الأمور قدرها، فلا يُزَهِّد في الدنيا، والناس بحاجة إلى النشاط والجدّ والعمل، ولا يدعو إلى التبتل والانقطاع، والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء، وهم في مسيس الحاجة إلى تعلم الوضوء والصلاة.

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم، ١/ ١٩٤، وتفسير ابن كثير، ٣/ ٤١٦، و٤/ ٣١٥، وفتاوى ابن تيمية، ٢/ ٤٥، و١٩/ ١٦٤.

(٢) ذكر سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز ابن باز في مجموع فتاواه، ٣/ ١٨٤، و٢٠٤: ((أن هذا الشعر يروى لحسان بن ثابت ﷺ)).

(٣) انظر: فتح الباري، ٥٤٠/١٠، ٥٣١/٦، وشرح النووي على صحيح مسلم، ٣٣/٢، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، ٣٥٤/١٣.

(٤) البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشِّعر والرَّجَزِ والحداءِ وما يكره منه، برقم ٥٧٩٣.

٥- **الحكمـة** تجعـل الداعيـة إلـى اللَّه يتأمـل ويراعـي أحـوال المدعوين وظروفهم وأخلاقهم وطبائعهم، والوسائل التي يُؤتَون من قبلها، والقدر الذي يبيّن لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشقّ بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع والتشويق في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، ويدعو إلى اللَّه بالعلم لا بالجهل، ويبدأ بالمهم فالذي يليه، ويُعلِّم العامة ما يحتاجونـه بألفـاظ وعبـارات قريبـة مـن أفهـامهم ومسـتوياتهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم، **فالحكمة** تجعل الداعية ينظر ببصيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم واطمئنانهم، وهذا كله من الدعوة إلى اللَّه بالحكمة التي هي الطريق الوحيد للنجاح[1].

۞۞۞

(١) وقد كتبت رسالة في الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وقد طبعت ولله الحمد، فأغنى عن التفصيل في موضوعات الحكمة.